## المحاضرة التاسعة

# الحضارة الصينية

**تاريخ الصين** : تشغل الصين مساحة تقارب العشرة ملايين كيلومتر مربّع، وتضمّ من السكّان ما يقارب ربع سكّان المعمورة، ولموقعها الاستراتيجي الهامّ أهمّية كبرى في تحديد شخصية الحضارة الصينية، ويمتاز الشعب الصيني بنشاطه وصبره وذكائه، ويغلب عليه الطابع المغولي وقد بدأ الصينيون تاريخهم كمزارعين ممّا حقّق لهم الكثير من أسباب الثروة والتقدّم الحضاري وذلك بعدما اندمج هؤلاء المزارعون تحت رئاسة الأقوياء فتولّد ما يسمّى بالنظام الإقطاعي فأصبح في البلاد مئات الولايات الإقطاعية في أواخر القرن الثامن (ق.م).

وما بين القرنين الخامس والثالث (ق.م) أخذ عدد من تلك الإقطاعات يتناقص فتحوّلت إقطاعات كثير من العائلات إلى ملكيات تتنازع السيطرة على أكبر قسم ممكن من البلاد، واستطاعت عائلتا " تسين" في الشمال الغربي، و"تشيو" في الجنوب أن تقيما مملكتين كبيرتين، وبقي الأمر كذلك حتّى سنة 221 (ق.م) حيث استطاع زعيم عائلة "تسين" أن يجتاح الإقطاعات المنافسة ويعلن نفسه أوّل امبراطور للصين. ولكنْ لمّا اشتدّ خطر المغول على دولته أمر بتشييد سور الصين العظيم لدرء الأخطار، وإليه يعود الفضل في تثبيت حدود الصين في الخارج، وإقامة أوّل حكومة مركزية منظّمة في الداخل.

**التراث الأدبي** : يَعتبر الصينيون أدبهم أرقى الآداب، لكنّهم لا يعتبرون القصّة بابا من أبواب الأدب، فلذلك جاءت القصص الصينية من النوع التاريخي البطولي والغرامي في آن واحد، ومن ذلك قصّة "هونغ-لو-من" (حلم الغرفة الحمراء) التي تتألّف من 24 مجلّدا، ورواية " الممالك الثلاث"

ويمتاز الشعر الصيني بالإيجاز، والشاعر الأمثل عند الصينيين هو من يقدر على جمع المعاني الكثيرة في أبيات قليلة، ومن أبرز شعراء الصين "لي-بو" و"داو-تشين" و"دو-فو"...

هذا، وقد كان للمسرح نشأة دينية عند الصينيين وقد كتبوا الكثير من المسرحيات، لكن هذا الفنّ لم يستقلّ بذاته إلّا بعد الاتّصال بـالمغول وتسلّطهم على الحكم، وقد كانت المسرحية الصينية مزيجا من التاريخ والشعر والموسيقى ذات غايات أخلاقية سامية.

**العلوم** : الصينيون هم أوّل من برع في الطباعة، والورق، والحِبْر، والعُملة الورقية، والبارود، وآلة تسجيل الزلازل.

وقد اهتمّوا بالجغرافية والفلك والتقويم، وحدّدوا مواعيد الكسوف والخسوف، كما برعوا في الرياضيات والهندسة، ونبغوا في الطبّ ونظّموا دراسته، وتعرّفوا على العديد من الأمراض ووصفوا أدويتها.

**التراث الفنّي** : كانت المصنوعات الصينية تعكس مدى تراث الصين الفنّي حيث كانت آية في الروعة والجمال، وقد تجلّى ذلك بشكل بارز في تجميل الأجسام والمساكن والمعابد ... كما برعوا في حفر الخشب ونقش العاج وصناعة الحليّ، وقد عرفوا البرونز واستخدموه في صنع العديد من التحف الفنّية من قدور ومباخر ومرايا وأسلحة ونواقيس وتماثيل وزهريات ... ولعلّ أبرز ما نبغ فيه الصينيون :

أ- **اللّاك** : وهو طلاء عبارة عن سائل يُستخرج من لحاء شجرة تنمو في بلادهم يُطلى به الخشب الرقيق والمعدن والخزف ...

ب- **النحت** : فضّل الفنّانون الصينيون تمثيل الحيوانات على تمثيل البشر. أمّا عن التماثيل البشرية فقد قصروها على القِدِّيسين البوذيين والحكماء ...

ت- **فـنّ العمـارة** : مـن أبـرز خصـائص البيـت الصـيني السـور العـادي يفصـل المبنـى الرئيسـي عـن الطريـق العـام، ويحـيط هـذا السـور بالفنـاء وتتخلّلـه عـدّة أبـواب، وبقـدر مـا يـزداد صـاحب البيت ثـراءً يزداد الفناء رحابة، كما يتضمّن البِرَك والحدائق، أمّا المنازل في حدّ ذاتها فهي قسمان :

- **منـازل الفقـراء** : وهـي كئيبـة مظلمـة مـداخلها دهـاليز ضـيّقة، وسـقوفها منخفضـة، وأرضـها تربة ...
- **منـازل الأغنيـاء** : وهـي متعـدّدة المبـاني والغـرف المبنيـة فـي عمومهـا مـن الخشـب والآجـر، وأمّا الحجارة فللأُسُس.

ث- **الرسـم** : لقـد مـارس الصـينيون الرسـم وأجـادوا فيـه، وقـد كانـت لهـم خصائصـهم التـي تفـرّدوا بهـا فـي هـذا المجـال حيـث رسـموا علـى شاشـات كبيـرة جـدّا، وأهملـوا الظِّـلال فالشـكل عنـدهم هـو كـلّ شـيء خصوصـا إذا كـان منسـجما ودقيقـا مـن حيـث الخطـوط، كمـا لـم يهـتمّ الصـينيون بواقعيـة مـا يرسـمون لأنّ هدفهم هو الإيحاء وليس الوصف ...

ج- **الخـزف** : وقـد تفـوّق فيهـا الصـينيون علـى كـلّ الأمـم، كمـا مارسـوا الفخّـار منـذ العصـر الحجـري فتفنّنـوا فيهـا حتّـى جعلوهـا شـبيهة بالزجـاج. وقـد بلـغ الخـزف الصـيني ذروتـه وقمـة إتقانـه فـي عهـد أسـرة "سـونج" حيـث تنوّعـت المصـنوعات الخزفيـة وتعـدّدت ألوانهـا فظهـرت بحلّـة غايـة فـي الدقّـة والروعة والجمال ...